

## الوحدة الخامسة

### أسس دور المرأة التنموي

أخي الطالب / أختي الطالبة:

يتوقع - بعد دراستك لهذه الوحدة - أن تكون قادراً على:

- ١ - بيان أسس دور المرأة التنموي في الإسلام.
- ٢ - إدراك الحكم العام في الإسلام للمهام التنموية التي تقوم بها المرأة.

## أسس الدور التنموي للمراة في الإسلام

❁ أولاً: الالتزام بأحكام الدين.

خلق الله تعالى الإنس والجن لعبادته، فأرسل لهم الرسل وأنزل الكتب ليبين لهم كيف يعبدونه ويحكمون شريعته، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣).

قال السعدي: «﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فعم الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم، عدلا منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق، لئلا يقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ (المائدة: ١٩)، وهدى - بفضله ورحمته، وإعانتة ولطفه - من شاء من عباده، فهذا فضله وإحسانه، وذاك عدله وحكمته»<sup>(١)</sup>؛ فالمسلم يسير في حياته مهتديا بنور ربه، ومستقيما على منهجه، مهما تنوع دوره في الحياة واختلفت مسؤولياته، ولذا فإن المراة تنطلق في ممارسة أدوارها المختلفة من منطلق الشريعة الإسلامية، حتى لا تنحرف عن جادة الصواب وتتشتت بين السبل التي تصدها عن بلوغ الغاية الصحيحة من عبادة الله تعالى وعمارة أرضه. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِرِءٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٩٦).

فالالتزام بأحكام الدين يحقق للمرأة ما يأتي :

- ١ - حماية المرأة من السير خلف أي دعوة ترفع شعار التنمية بينما هي في حقيقتها تنشر المفاسد والرذائل.
- ٢ - بناء الحصانة الفكرية والنفسية والاجتماعية لدى المرأة تجاه الأفكار المنحرفة المهددة لبناء المجتمع واستقراره.
- ٣ - تنمية مهارة الإبداع والابتكار لدى المرأة في طرح مشاريع تنموية تتسم بالأصالة والمعاصرة تتلاءم مع خصائصها ودورها التنموي.

### ❁ ثانياً: نفع المجتمع.

من أسس التنمية في المنهج الإسلامي عناية الإسلام بنفع الآخرين ، قال رسول الله ﷺ : (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الإسلام الأعمال المتعدية النفع خيراً من الأعمال التي نفعها غير متعدد. فالإحسان إلى الآخر من أعظم القربات لله تعالى وأحبها إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥). وباب الإحسان والعطاء باب واسع في الشريعة الإسلامية، وأعظمها باباً باب تعليم الناس القرآن الكريم ورفع الجهل عنهم؛ لأن في تعلمه سعادة الدنيا والآخرة، وبه يرتفع الجهل والشر، وينتشر العلم والخير، قال النبي ﷺ : (خَيْرُكُمْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، رقم الحديث: (٢١٩٩).

مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ<sup>(١)</sup>، قال ابن حجر: «مِنْ أَشْرَفِ الْعَمَلِ تَعْلِيمُ الْغَيْرِ، فَمُعَلِّمٌ غَيْرُهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ تَعَلَّمَهُ وَتَعْلِيمُهُ لِعَيْرِهِ عَمَلٌ وَتَحْصِيلُ نَفْعٍ مُتَعَدِّ<sup>(٢)</sup>».

كما جعل مضممار التنافس بين الناس في مجال تحقيق النفع الأكبر للآخرين، قال عليه السلام: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَيْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)<sup>(٣)</sup>. قال الشيخ السعدي رحمته الله: «أعظم من يغبط: من كان عنده مال قد حصل له من جلّه، ثم سلط ووفق على إنفاقه في الحق، في الحقوق الواجبة والمستحبة؛ فإن هذا من أعظم البرهان على الإيمان، ومن أعظم أنواع الإحسان، ومن كان عنده علم وحكمة علمه الله إياها، فوفق لبذلها في التعليم والحكم بين الناس. فهذان النوعان من الإحسان لا يعادلها شيء، الأول: ينفع الخلق بماله، ويدفع حاجاتهم، وينفق في المشاريع الخيرية، فتقوم ويتسلسل نفعها، ويعظم وقعها، والثاني: ينفع الناس بعلمه، وينشر بينهم الدين والعلم الذي يهتدي به العباد في جميع أمورهم: من عبادات ومعاملات وغيرها<sup>(٤)</sup>».

إن دور المرأة في الحياة دور رحب، يمكنها من ممارسة كل ما ينفعها أو ينفع غيرها، فإن كان ما تقدم عليه من الأعمال نفعاً محضاً وجب عليها القيام به، وإن كان شراً محضاً حرم عليها الاقتراب منه، وإن تعارضت فيه المصالح فيقدم دفع المفسد على

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث: (٥٠٢٢).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٧٦/٩).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: إنفاق المال في حقه، رقم الحديث: (١٤٠٩)،

وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن، رقم الحديث: (٢٦٨).

(٤) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار (٢٠٣).

جلب المصالح ، وتقدم المصلحة العامة على الخاصة. إلا إن هذا الميزان الشرعي وقياس المصالح والمفاسد يعد من الأمور التي يرجع فيها للعلماء المتخصصين والفقهاء المفتين.

### ❁ ثالثاً: شمولية المهام التنموية.

المهام التنموية التي تقوم بها المرأة قد تكون واجبة أو مستحبة:

١ - فالواجب ؛ على المرأة القيام به ، وهي محاسبة أمام الله تعالى عليه ، قال عليه السلام : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا)<sup>(١)</sup> ، وأصل الرعاية ؛ حفظ الشيء وحسن التعهد له ، فرعاية المرأة حسن التدبير في أمر بيت زوجها والتعهد لمن تحت يدها من عياله وأضيافه<sup>(٢)</sup> «والراعي : هُوَ الْحَافِظُ الْمُؤْتَمِنُ الْمُتَلْتَمِزُ صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْهِ وَمَا هُوَ تَحْتَ نَظَرِهِ ، فَكُلٌّ مِنْ كَانَ تَحْتَ نَظَرِهِ شَيْءٌ فَهُوَ مَطْلُوبٌ بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَامُ بِمَصَالِحِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَمَتَعَلِّقَاتِهِ ، فَإِنْ وَفَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الرَّعَايَةِ حَصَلَ لَهُ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ وَالْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ طَالَبَهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

- (١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن ، رقم الحديث : (٨٩٣) ، وصحيح مسلم كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، رقم الحديث : (١٨٢٩) .  
 (٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٦/٦) .  
 (٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩٠/٦) .

٢ - والمستحب؛ شامل لأنواع وجوه البر والإحسان المختلفة التي تحقق النفع للغير وهذا تؤجر عليه، كالصدقة، أو الهبة، أو العمل والقول الحسن، يقول تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)، فالآية جمعت صنوفا من أعمال البر التي يمكن أن تقوم بها المرأة في مجتمعتها، كالأمر بالصدقة لإعانة المحتاج ومواساة الفقير والمسكين، والأمر بالمعروف، بالإضافة إلى الإصلاح بين الناس في خصوصياتهم ومنازعاتهم<sup>(١)</sup>.

وجميع ما تقوم به المرأة من أعمال تنموية مشمول في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، فالإحسان قمة الهرم التنموي، والمطالب به هنا الرجال والنساء معاً.

وهذه النصوص تدلنا على أن دور المرأة التنموي تكليف شرعي يختلف حكم الإلزام به بين الواجب والمستحب، فالمرأة داخل بيتها يجب عليها مسؤوليات تُفرض عليها لكونها أمّاً أو زوجةً، وأما خارج البيت فدورها يأتي بحسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة.

#### ❁ رابعاً: الموازنة بين الأدوار والخصائص.

دور المرأة التنموي يكون في ميدان الاستطاعة، وهو ميدان يتحدد في ضوء مجموعة الخصائص التي تميزها عن الرجل، والتميز هنا يتفق مع المدلول اللغوي للكلمة

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٠٢/١).

التي تعني أفضليتها على من سواها<sup>(١)</sup>، فهذه الخصائص ليست نقائص، وإنما هي خصائص انفردت بها المرأة، أهلتها لوظائف خاصة بها لا يقوم غيرها. فعلى المرأة أن تحقق التنمية بتأدية الأعمال التي تناسب مع مؤهلاتها العضوية والنفسية والاجتماعية، وهذا أمر معترف به عملياً، فالناس يتولون الأعمال التي تناسب مع قدراتهم الجسمية والذهنية والعلمية، ويؤمنون من هذه الأعمال كثيراً من حاجاتهم وحاجات المجتمع، وهم بذلك يفسحون المجال لآخرين؛ ليقوموا - وفق قدراتهم، ومؤهلاتهم - بتوفير حاجات أخرى. وعلى هذا الأساس جرى تقسيم العمل بين الرجل والمرأة من بدء الخليقة، فالرجل مثلاً بقوته الجسمية اتجه إلى الصيد؛ لتأمين حاجات الأسرة من اللحوم والجلود، بينما اتجهت المرأة إلى طهي الطعام وترتيب أمور المنزل، واتجه الكهول إلى صناعة أدوات العمل؛ لأنهم أكثر خبرة، وقد تطور هذا الأمر في ظل حاجات المجتمع حتى انتهينا إلى التخصص.

#### ❁ خامساً: التكامل مع الرجال في المجال التنموي.

صوّرت الفلسفة الغربية العلاقة بين الرجل والمرأة كأنهما في ساحة قتال، يصارع كل منهما الآخر؛ فالرجل يضطهد المرأة، ويريد أن يسخرها لشهواته، والمرأة تنازعه لتأخذ حقوقها، وكأن الغاية أن يأخذ واحد منهما كل شيء لنفسه، ثم يعيش بمفرده. هذا التصور الذي سيطر على العقلية الغربية لا يعرفه الإسلام الذي يصور العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها علاقة تكاملية ببناء. فالمرأة لا تستغني عن رجل يصبر عليها

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٣/٢).

ويعينها على القيام بواجباتها وذلك بما فضله الله تعالى بصفات الرجولة والقوة، والرجل لا يستغني عن المراة التي توفر له السكن والراحة والإعانة على حياته. ولا يشكل على ما قدمناه بما يقع بين الرجل والمراة من صراع قد يقع بين الزوجين، فثمة فارق بين أن يكون الصراع عارضا تثيره الأعراف والثقافات والميول الفردية، وبين أن يكون أصلا تبنى عليه العلاقة بينهما، كما هو الحال في المجتمعات الغربية.

ولقد بين القرآن الكريم حالات الخلاف<sup>(١)</sup> التي تقع بين الرجل والمراة، ووضع المنهج الحكيم للتغلب عليها، قال تعالى: ﴿ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٤)، وقال أيضا: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٣٥). قال الشيخ السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى أن الرجال ﴿ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (النساء: ٣٤) أي: قوامون عليهن بالزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا بالإفناق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (النساء: ٣٤) أي: بسبب

(١) هناك فرق بين الخلاف بين الزوجين، وبين الصراع بين الذكر والأنثى. فالخلاف بين الزوجين يرجع لأسباب عديدة قد تتعلق بالمراة وقد تتعلق بالرجل أو تتعلق بكلا الطرفين، أما الصراع بين الذكر والأنثى فهو صراع على أساس الجنس البشري وعلى أساس الأدوار الوظيفية في الحياة، ولذا فهو صراع مصادم للفطرة والطبيعة وليس خلاف يحل بطرقه الشرعية المعروفة.



فضل الرجال على النساء وأفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء.

ولعل هذا سر قوله: ﴿وَيْمًا أَنْفَقُوا﴾ وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة... فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به. ووظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها فلهذا قال: ﴿فَالصَّلِيحَتُ قَبِيحَتٌ﴾ أي: مطيعات لله تعالى ﴿حَنِفِطَتٌ لِلْغَيْبِ﴾ أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلمها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن، لا من أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ودنياه. ثم قال: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤديها بالأسهل فالأسهل، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضرباً غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْنَّ سَبِيلاً﴾ أي: فقد حصل لكم ما تحبون فاتركوا معاتبها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها ويحدث بسببه الشر<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (١٧٧).